الكاتب: أ/ بخاخ سعدون
طالب دكتوراه _جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان/ الجزائر

عنوان المقال: **العربي المشرفي والتأريخ للمغرب الأقصى خلال القرن 13ه/19م.**

البريد الالكتروني: bekhakhoussama8@gmail.com

تاريخ الارسال: 2019/01/23 **تاريخ القبول:** 2019/03/22 **تاريخ النشر:** 2019/09/30

العربي المشرفي والتأريخ للمغرب الأقصى خلال القرن 13ه/19م

Al_arabi Al_machrefi and history of the Morocco the 13th century AH / 19 AD

الملخص بالعربية:

يبرز هذا المقال دور الهجرة في خلق التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 13ه/19م حيث جسّد هذه الصورة عالم جزائري مولدا ونشأة، مغربي استقرارا ووفاة، هو العربي المشرفي (ت1895م) الذي ينتمي إلى أسرة المشارف التي اشتهرت في الغرب الجزائري خلال العهد العثماني بمكانتها الاجتماعية وأدوارها العلمية والثقافية والجهادية من خلال جهود أبناءها، لتمتد أدوار الأسرة إلى المغرب بعد هجرتها إليه أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتظهر هذه الأدوار جليّا مع العربي المشرفي الذي كانت تآليفه حيّزا لكثير من جوانب تاريخ المغرب الأقصى خلال هذه الفترة، وهو ما يعكس صورة التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب.

الكلمات المفتاحيّة:

الهجرة- العربي المشرفي- المغرب الأقصى- التواصل الثقافي.

Abstract :

This article specifies an image of cultural communication between Algeria and Morocco in 19 century because of the immigration of scholars, despite there are many Algerian scholars who emigrated to Morocco in that time we concentrated

on the case of The AARBI EL-MECHERFI, who emigrated with their family to Morocco after the French conquest of Algeria.

In Fes where he settled, EL-Mecherfi participated in the cultural life according to their scriptures and their works in several subjects such as: (History, letter, religious,...) had the same time this works it is very important sources of the history of Morocco In 19 centuries.

Key words: immigration, Morocco, EL-Mecherfi, cultural Communication.

مقدمة:

إنّ الهجرة كظاهرة اجتماعية بين البلدان والأقطار تلعب دورا مهما في التقارب وتجسيد العلاقات بينها على جميع الأصعدة (سياسيا- اجتماعيا- ثقافيا- اقتصاديا)، أين تعمل على تجسيد هذه العلاقات فئات اجتماعية مختلفة كالتجار والعلماء والرحالة و الدبلوماسيين وحتى العامة من الناس، ولعلّ من بين أهم العلاقات في الفضاء المغاربي هي العلاقات الجزائرية المغربية[1]، وإن كنّا سنركز على جانب معيّن هو الشأن الثقافي، وعلى فترة زمنية معيّنة هي القرن 13ه/19م التي عاش فيها العربي المشرفي، فإنّ لهذه العلاقات امتداد تاريخي سابق لهذه الفترة، إذ برجوعنا للعهد العثماني نجد هجرة الطلبة الجزائريين إلى المغرب الأقصى بنيَّة التحصيل العلمي في جامع القرويين، منهم من يعود ومنهم من يبقي هناك ويعتلي مناصب التدريس والإفتاء والقضاء[2]، ونظرا لتوفر جو علمي في المغرب الأقصى أين نجد جامع القرويين، ووفرة الكتب، بالإضافة إلى تقدير سلاطين المغرب للعلم والعلماء، فقد هاجر الكثير من العلماء واستحسنوا البقاء هناك بصفة نهائية في كنف هؤلاء السلاطين واستقرارهم في المغرب ساعدهم على تنشيط الحياة الثقافية هناك بفضل إسهاماتهم الثقافية[3].

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عرف المغرب موجات من الهجرات الجزائرية من السنوات الأولى للاحتلال، وهو ما نلتمسه في تلك الرسائل التي كان يبعث بها حاكم تطوان إلى السلطان المغربي **عبد الرحمان بن هشام(1822- 1859)** يخبره فيها بتوافد الجزائريين على المغرب[4]، ومن المدن المغربية الأكثر استقطابا للمهاجرين هي مدينة وجدة، فاس، تازة، تطوان، الرباط، سلا. حيث كانت غالبية المهاجرين من تلمسان ومعسكر مستغانم والجزائر[5]، ولكي لا نغوص أكثر في

تفاصيل الهجرة ونبتعد عن موضوعنا، فإن هجرة الأسرة المشرفية التي ينتسب إليها مترجمنا هي جزء من هجرات الجزائريين إلى المغرب الأقصى، وهناك عاش العربي المشرفي في كنف العلويين متحسّرا على أوضاع بلده، مستشعرا الانتماء إلى المغرب الأقصى، مهتما بالتأليف ومتفاعلا مع القضايا التي عاصرها المغرب بقلمه ولسانه. إنّ هذا الاهتمام من العربي المشرفي بقضايا المغرب الأقصى وشؤونه وتدوينها في مؤلفاته جعل من هذه الأخيرة مصدرا مهما من المصادر المحلية المتعلقة بتاريخ المغرب التي لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة التاريخية.

نسعى من خلال هذا المقال إلى معرفة دوافع التأليف عند المشرفي وطبيعة مؤلفاته، بالإضافة إلى معرفة الجوانب التي تطرق إليها ضمن هذه المؤلفات، لنقف على قيمتها المصدرية وأهميتها التاريخية، وندرك إلى أي مدى شكلت كتاباته صورة من صور التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب.

ترجمة العربي المشرفي

ينتسب العربي المشرفي إلى إحدى أشهر الأسر العلمية في الجزائر، وهي أسرة المشارف نسبة إلى جدّهم مشرف بن عبد الرحمان، والمتوطنة بأرض غريس ناحية معسكر، حيث اضطلعت هذه الأسرة بالعديد من الأدوار كالتعليم وتقلد مناصب الافتاء والقضاء والجهاد، سواء أثناء العهد العثماني أو بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر وهجرة الأسرة إلى المغرب الأقصى[6].

هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي بناء على ما قيّده في كثير من مؤلفاته، كانت ولادته مع نهاية عام 1804م وبداية سنة 1805م، وهذا انطلاقا من تاريخ وفاته عام 1313ه/1895م عن عمر يناهز التسعين[7]. ولد العربي المشرفي في قرية الكرط بإقليم الراشدية(معسكر) وفيها اخذ يحصل العلوم، لم يبق المشرفي في معسكر فقط، بل انتقل إلى مستغانم وبقي بها إلى غاية عام 1240ه/1824م، أين انتقل مجدّدا إلى وهران التي مكث بها ما بين 1240ه/1824م-1246ه/1830م[8]. اذا اعتبرنا أن العربي المشرفي قد بدأ في طلب العلم وعمره 5 سنوات فإنّه يكون قد قضى 20 سنة في تحصيله، ولاشك أنّ تنقله بين هذه الحواضر العلمية أدّى به الى الاحتكاك بعدد كبير من العلماء والمشايخ، الأمر الذي ساهم في تنوع معارفه.

أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر شارك العربي المشرفي في مقاومة الأمير عبد القادر، وبعد استيلاء الفرنسيين على مدينة معسكر هاجر إلى المغرب رفقة أسرته واستقر هناك، وبالرغم من هذا

فقد زار الجزائر مرتين في إطار زيارته للحج فكانت الزيارة الأولى عام 1849م، أمّا الزيارة الثانية فكانت عام 1877م[9].

مؤلفات العربي المشرفي

ترك العربي المشرفي تراثا علميا متنوعا شمل العديد من المجالات كالتاريخ والأدب والأنساب والتراجم والردود...الخ، ونظرا للتكوين العلمي الذي تلقاه والذي ساهم في صقل شخصيته، نجد صاحب **الإعلام** يقول عنه أنّه كان **صاحب علم ومحاضرة**[10]، كما أنّ اشتغال العربي المشرفي في فاس بنسخ الكتب ساعده على كثرة المطالعة الأمر الذي دفعه إلى التأليف[11].

من خلال اطلاعنا على بعض مؤلفات المشرفي المحققة، وكذلك بعض المراجع التي تحدثت عن انتاجه العلمي قمنا برصدها في الجدول التالي:

طبيعة المؤلف	اسم المؤلف
تاريخ	1/طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث العشر للمسلمين مع الكفار في عتو الأمير عبد القادر وأهل دائرته الفجار. 2/ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول. 3/تاريخ الدولة العلوية. 4/الآيات والحوادث.
سيرة	1/ تقاييد على شمائل المصطفى.
تراجم	1/ تاريخ علماء فاس. 2/ إثمد الجفون فيمن بعهد الله يوفون. 3/ النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب.
نوازل	1/ الرسالة في أهل البصبور الحثالة. 2/ ورقات في رواج السكة بالزيادة. 3/ تأليف في الأتاي.
أدب	1/ حاشية على شرح المكودي. 2/ فتح المنّان في شرح قصيدة ابن الونان.

	3/ ديوان في مدح السلطان الحسن الأول.
أنساب	1/ ياقوتة النسب الوهاجة. 2/ تأليف في الرّد على ابي راس الناصري. 3/ الدرة الوهاجة في نسب صنهاجة.
طب	1/ أقوال المطاعين في الطعن والطواعين.
ردود	1/ الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي. 2/ الحسام المشرفي للمهاجر المقتفي. 3/ تقييد في ذم أهل فاس. 4/ الدّر المكنون في الرّد على العلامة جنّون. 5/ عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي. 6/ نزهة الماشي في قبائح العياشي المستغانمي. 7/ درأ الشقاوة عن السادات درقاوة.
رحلات	1/ رحلة إلى نواحي فاس. 2/ الرحلة السوسية. 3/ رحلة إلى شمال المغرب. 4/ الرحلة العريضة في أداء الفريضة. 5/ الرحلة الجزائرية.[12]

كتابات العربي المشرفي وتاريخ مغرب القرن 13ه/19م.

1/ الكتابات التاريخية

أخذ التاريخ نصيبا وافرا من كتابات العربي المشرفي فلا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته من اشارات تاريخية سواء تلك المرتبطة بتاريخ المغرب أو الجزائر أو التاريخ العام، وهذا بحكم معايشته لكثير من الأحداث وبحكم اطلاعه وثقافته. يشير العربي إلى أهمية التاريخ في قوله "**إن أخبار الأوائل ومعرفة أجناس القبائل من أهّم ما يُعتنى به ويُدّخر...**، كما يعتبره من العلوم التي بها تُقَام به الحجج"[13].

لقد أخبر أبو القاسم سعد الله أنّ العربي المشرفي من المهتمين بالتاريخ وله حاسة تاريخية كبيرة، ولو تعلّم مناهج البحث، وعاش في بيئة متطورة لأنتج أعمالا تاريخية ذات قيمة في آرائها وتحاليلها، لكنّه درس دراسة مبعثرة وكان معتمدا على نفسه وعلى حاسته التاريخية[14].

من جهة أخرى فيما يتعلق بطبيعة كتابته لتاريخ المغرب، فإنّنا نلتمس محاولة العربي المشرفي التقرّب إلى البلاط العلوي من خلال كتاباته المتضمّنة لعبارات التبجيل والتمجيد، سواء للسلاطين العلويين أو كبار وزرائهم وقوّادهم رغبة منه في نيل حظوة أكبر، وتحسين مستوى معيشته الذي تدهور بعد هجرته للمغرب، حيث يقول عن أوضاعه في إحدى الأبيات الشعرية:

وكنّا أهل ثروة في القوم ولنا شأنا عاليا في السّــوْم

لنــا أصــول وعــقــار ولـنا جمــال زانــه وقار

وهجرنا العقار والوقــارا وتركنـا الحـائط والجــدارا[15]

في مخطوط الآيات والحوادث الذي سنأتي على ذكره يذكر العربي المشرفي وضعه المتردي ويشكو حاله للسلطان المغربي حيث يقول"...**وأمّا حالنا يا مولانا لو بلغك على وجهه لرقّيت ومسّتك رأفة ورحمة في جانب مؤلفه وكم كابد من شدايد الدهر وكثرة العيال مع شدّة العسرة وضعف الحال**..."[16]، لقد أراد من خلال هذا استعطاف الملك لقضاء حاجته، وفيما يلي نماذج من مؤلفات العربي المشرفي تبرز فيها علاقته بالبلاط العلوي من جهة وجوانب من تاريخ المغرب الأقصى من جهة أخرى.

- **مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي و أنفاس السلطان:** توجد نسختان من هذا المخطوط النسخة الأولى في المكتبة الزيدانية تحت رقم: 2848، أمّا النسخة الثانية فهي موجودة بالخزانة الملكية في الرباط تحت رقم: 12082. ذكر العربي المشرفي في هذا المخطوط أخبارا عن السلطان الحسن الأول(1873- 1893) وعن تحرّكاته لإخماد بعض القبائل المتمرّدة، كما تحدّث عن بيعة عبد الرحمان بن هشام بالإضافة إلى ذكر حرب تطوان عام **(1860م)**[17].

- **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين:** توجد نسخة واحدة من هذا المخطوط أشار إليها أبو القاسم سعد الله تحمل رقم: 2054 موجودة بالخزانة الحسنية[18]، وهي النسخة التي حققت في

اطار أطروحة دكتوراه بالمغرب حيث يعدُّ هذا المصدر من المصادر المهمة في التاريخ الاجتماعي، إذ يؤرخ لعدد من الطواعين التي أصابت المغرب خلال القرن 19م.

بعد ابتداء العربي المشرفي مؤلفه بالاستعاذة والبسملة يحيلنا مباشرة إلى المضمون إذ يقول"...**ونستغفرك من ذنوب ارتكبناها فجرّت إلينا الطعن والطاعون، ومن أجلها ارتفعت البركة في الأعمار والأمطار والأسعار**..."[19] ذكر العربي المشرفي عددا من الطواعين التي حلّت بالمغرب ابتداء من طاعون 1213ه/1798م، حيث انتشر في تارودانت، ومراكش، والرباط، وفاس، وعن عدد الوفيات يشير أنه خلال يوم واحد توفي 52 رجلا. بالإضافة إلى طاعون 1267ه/1851م الذي حلّ بوجدة وجبل بني زناسن، ونظرا لكثرة الوفيات ذكر العربي المشرفي أنّ عددهم لا يحصى. غير أنّه من أشهر الطواعين التي حلّت بالمغرب هو طاعون 1271ه/1855م، إذ في مدينة فاس وحدها توفي 300 شخص على حد قول العربي المشرفي[20]. لم يقتصر انتشار هذا الطاعون على مدينة فاس، بل تعداه إلى مدينة سلا التي توفي فيها 120 شخص، و مدينة تطوان التي بلغ عدد الوفيات فيها يوميا 70 وفاة، أمّا الدار البيضاء فقد خسرت ثمن سكانّها[21].

هذا ولم يكتف المشرفي بذكر الطواعين وسنوات وقوعها، بل نجده يُشخِّصُ لنا الأعراض التي تظهر على الشخص المصاب كتشوّه الخلقة وثقل اللسان، بالإضافة إلى احمرار العينين، والتقيؤ، وبرودة الأعضاء التي تؤدي للموت[22].

- **الآيات والحوادث**: يوجد هذا المخطوط على مستوى المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة تحت رقم 3013، لكن ليس بهذا العنوان، وإنما تحت عنوان" **كتاب في ذكر أخبار وقعت بالمغرب الأقصى في القرن 13ه**" وهو العنوان الذي وضعه له ناسخ المخطوط الذي لم نتعرّف على هويّته، لقد أشار الدكتور عبد الحق شرف بحكم اطلاعه على تراث العربي المشرفي أنّ المخطوط هو نفسه الآيات والحوادث لاعتبارين اثنين أوّلهما ورود اسم هذا المخطوط في مؤلفه " **ذخيرة الأواخر والأول** "، وثانيها هو ورود عبارة الآيات في عدد من صفحات المخطوط، فبعد قراءتنا للمخطوط وجدنا عبارة "**آية**" وردت ست مرات، وعبارة "**الآيات**" وردت مرّتين، كما وردت عبارة "**آيات**" هي الأخرى مرّتين.

لقد استعرض العربي المشرقي في هذا المخطوط عددا من الأزمات الكوارث الطبيعية التي اجتاحت المغرب الأقصى من غلاء في الأسعار، وزحف للجراد، الجوع والوباء، السيول والفيضانات، فعن غلاء الأسعار يقول العربي المشرقي"...**أمّا الغلاء فقد وفدت على المغرب جيوشه عام 1267ه(1850م) ففي تلك السنة وصل المد ثلاثين وقية وكانت ثمان أواق هي قيمة جيّد القمح..."**[23]. و بالنسبة لزحف الجراد فقد ذكر المشرقي زحفه على مراكش عام 1282ه(1865م) ليجوب بعدها عدد من الأقطار "...**وخرج 'الجراد' عام 1283ه (1866م) خروجا عاما في الأقطار أكل الزروع وفروع الشجر وقشّر أصولها**...[24]، لم يسلم المغرب الأقصى من المجاعات وآثارها الديموغرافية، ولعلّ من أشهر هذه المجاعات تلك الذي ذكرها العربي المشرقي عام 1284ه(1867م) إذ يقول"...**وتبع آية الغلاء هذه الجوع العظيم آخر سنة1284ه حتى مات به عدد من أهل ريف البحر وأعراب وجدة ومساكن البادية التي انحشرت بفاس وكذا فقراء حاضرتها حتى كان يموت جميع ما احتوت عليه الدار من العيال**..."[25]، بالإضافة إلى الكوارث السالفة الذكر ذكر العربي المشرقي السيل الذي أتى على مدينة فاس وما ترتّب عنه، حيث يقول "...**واجتمعت أنهار فاس وفاض سيلها على المدينة فاهلك ذلك السيل العظيم جميع من قاربه وخرّب السدّ الديار والحوانيت...ووقع ذلك عشية الثلاثاء 16 في صفر الخير عام 1285ه(1868)**...[26].

تظهر علاقة المشرقي بالبلاط العلوي في هذا المخطوط أين نجده يذكر التآليف التي ألفها في ملوك الدولة العلوية، فقد توجه بكلامه للسلطان قائلا "...**أني ألقيت تأليفا في الجناب العلي وفي أسلاف سيدنا الطاهرة واحدا بعد واحد، ومدحت الدولة بما يليق أن تمدح به من شرف المناقب وعلوّ المناصب**..."[27].

- **تاريخ الدولة العلوية:** عرّف فيه العربي المشرقي بأقاليم المغرب الأقصى كمراكش، وسجلماسة، ومكناس وفاس، وما فيها من مساجد وأعلام، زيادة على تحدّث عن مدن الإقليم الشمالي كالعرائش، وسبتة، وتطوان، و وجدة. لقد أشار الدكتور عبد الحق شرف إلى احتمال كون هذا المؤلف هو نفسه ما ورد في الباب السادس من مخطوط الذخيرة[28].

- **رحلة إلى نواحي فاس:** جاءت هذه الرحلة في شكل أرجوزة تضم 168 بيتا، ذكر فيها العربي المشرقي رحلته إلى القبائل المغربية مثل: شراكة، أولاد جامع، سلاس...، توجد نسخة من هذه الرحلة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 15/126[29].

2/ تراجم العلماء والوزراء والحكام

وردت في مؤلفات العربي الكثير من التراجم لعلماء ووزراء وحكام عاصرهم وكانت له علاقات معهم، فمن هذه التراجم ما خصص لها المشرفي مؤلفات بعينها، ومنها ما ورد في ثنايا مؤلفاته الأخرى، وبالنسبة للأولى يمكننا ذكر:

- **تاريخ علماء فاس:** حسب صاحب الإعلام يقع هذا المؤلف في سفرين[30]، لقد أشار الدكتور عبد الحق شرف أنه من الممكن أن يكون هذا المؤلَّف هو نفسه الذي أشار إليه العربي المشرفي في كتابه الذخيرة تحت عنوان " **لواء الفكر في فضلاء العصر**" الذي ذكره دون أي توضيح عن الغاية من تأليفه وتاريخه ومضمونه، استعرض فيه المشرفي تراجم مستفيضة ومتنوعة لعلماء فاس ومراكش والرباط، وسلا، ومكناس، ووزان[31].

- **إثمد الجفون فيمن بعهد الله يوفون:** ألّفه العربي المشرفي في مدح وزير الحرب ووالي فاس السيد عبد الله بن أحمد المتوفي عام 1877م، حيث ذكر فيه خصاله واهتمامه برجالات العلم[32].

- **الفتح والتيسير في شرح منظومة غوثية البدر المنير السيد محمد العربي الوزير:** توجد نسختان من هذا المخطوط، الأولى في الخزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم 5271، والثانية بخزانة علّال الفاسي، وقد قصد بعمله هذا مباركة شفاء الوزير محمد العربي الجامعي من مرضه في أرجوزة ضمّت 77بيتا[33].

- **ديوان في مدح السلطان الحسن الأول:** تحدث العربي المشرفي في هذا الديوان عن مكارم ومحاسن وأخلاق هذا السلطان، وأشاد بسياسته الرشيدة تجاه الملك والرعية حيث جاء في أوله: **الحمد لله الذي تجلى في الملوك باسمه القاهر، لينتهر بهم كلّ مختال فخور في باطن الأمر والظاهر**...وفي آخره:...**وعلامة تجديده للدين أنّ الله زرع محبّته في قلوب رعيته وهداهم به**...[34].

أمّا بالنسبة للتراجم الواردة في ثنايا المؤلفات نجد ما ورد في مخطوط" **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن أكنسوس**"، والذي انتهى العربي المشرفي من تأليفه عام 1285ه/1868م وقصد به مناقشة المؤرخ **محمد بن أحمد أكنسوس** (1211ه-1794م/1294ه-1877م)[35] في بعض المواضيع من كتابه" الجيش العرمرم

الخماسي[36]، حيث ذكر العربي المشرفي عددا من زوايا المغرب الأقصى على غرار زاوية أبي الجعد في مراكش، والزاوية الناصرية بتمكروت، وزاوية أحمد الحبيب في سجلماسة، وزاوية الطيب بن الماحي في وجدة، أين أشاد بالقائمين عليها ومدح أصحابها[37]، كما قدّم ترجمة للعربي الوزاني المعاصر له"...**وقد أدركنا القطب الجامع والغوث النافع...كان لله ذاكرا ولربّه بسائر الجوارح شاكرا، فمع كِبرِسنِّه لا يفْترُلسانه عن تلاوة القرءان قاعدا أوقائما أو مضطجعا**...[38]

- **الرحلة السوسية:** انطلق المشرفي في هذه الرحلة من مراكش إلى سوس رفقة السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام عام (1289ه/1873م) رفقة عدد من الفقهاء، وقد خصّص في هذه الرحلة بابا ترجم فيه لصاحب زاوية تمكدشت أبي العباس احمد بن محمد التمكدشتي، وابنه أبو علي الحسن، كما تميزت هذه الرحلة بذكر تراجم غزيرة لأعلام المغرب خلال القرن التاسع عشر، فضلا عن أخبار مستفيضة حول فترة حكم محمد بن عبد الرحمان بن هشام(1859-1873م)[39].

3/النوازل الفقهية

في مجال النوازل الفقهية تظهر لنا شخصية العربي المشرفي في صورة الفقيه، أين وقفنا له على ثلاث قضايا عاصرها بالمغرب أبدى رأيه فيها كغيره من الفقهاء.

بالنسبة للقضية الأولى فإنها تتعلق **بالحماية القنصلية في المغرب** و الحكم الشرعي فيمن دخل تحت حماية الدول الأوروبية، فالحماية القنصلية في مفهومها البسيط هي منح الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين الأوروبيين المعتمدين في المغرب من قبل دولهم حماية لرعاياهم الأوروبيين منهم، وكذلك المغاربة إن هم رضوا بهذا المبدأ حيث أنّهم يقيمون في المغرب لكنهم لا يخضعون لقوانين المخزن المغربي، بل ويأخذون جنسيات أوروبية مختلفة، ولا شك أن هذا المبدأ يتنافى مع سيادة الدول وانبساط سلطانها وقوانينها[40]، لقد جاءت هذه الحماية في فترة عرف فيه المغرب تراجعا وضعفا وتغلغلا أوروبيا بسبب كثرة الامتيازات التي منحها للدول الأوروبية، ففي هذا الصدد ألّف رسالة سمّاها "**الرسالة في أهل البصبور الحثالة**" عام 1270ه/1853م جاء في بدايتها:

الحمد لله وبعد، فقد توّجه سؤال لأهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنة وحشرنا في زمرتهم آمين عن حادثة حدثت في قرننا هذا في حدود السبعين والمائتين والألف، وهي دخول

المسلمين تحت كلمة الكفر- أعاذنا الله منه- ويعبّرون عنها بالحماية القنصلية معتذرين بها عن تحصين مالهم من ثقل المغارم، مع أنهم يجعلون حظا و افرا لمن يحميهم بإذلال وطيب نفس، فهل يكون المحتمي بالحماية على هذه الحالة مسلما عاصيا؟ أو خرج عن دينه بالكلية؟[41].

لقد حكم المشرفي على الداخلين تحت راية الحماية بالفسق وضعف الإيمان، وانتهي في الأخير إلى أنه كافر حيث يقول " **فهو فاجر مفسّق، ضعيف الإيمان، غوغاء لا يدين لله بدين...**"، ويضيف المشرفي"...**وأمّا إن كان المحمي قد ولّاه الكفّار الحكم على المحميين فهو زنديق يُحكم بقتله ودمه مباح...فواجب على كلِّ مؤمن أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ولا يعاشرهم...**"[42].

تتعلق القضية الثانية التي أثارت اهتمام العربي المشرفي **بالمعاملات التجارية في المغرب الأقصى**، حيث ألّف عام 1304ه/1886م رسالة سمّاها "**ورقات في رواج السكة بالزيادة**"، وقبل الحديث عن أهمّ ما جاء فيها نشير إلى الظرفية التاريخية التي كُتِبت فيها.

لقد عرف المغرب الأقصى خلال هذه الفترة تحوّلات نقدية أثّرت سلبا على المعاملات اليومية، وهذا نتيجة تراكم العديد من العوامل لعل اهمّها:

- اكتساح النقود الأجنبية للسّاحة المغربية منذ منتصف القرن التاسع عشر.

- ضآلة المعادن النقدية كالذهب والفضة، وهو ما أدّى بالمغرب إلى شراء الفضة من فرنسا وإنجلترا وجبل طارق زيادة على بساطة ضرب السِّكة وهوما أدّى إلى محدوديتها.

- تزوير اليهود والأوروبيين للنقود وتهريبها[43].

جاءت رسالة العربي المشرفي جوابا لسؤال وُجِّه له حول ارتفاع أسعار الصرف لذا يقول"...**بعد أن سُئِلت بذل المجهول في كشف القناع عن الرواج بالزيادة في الدِّرهم المألوف والمعهود...**"، هذا الارتفاع في سعر الصرف من حين إلى آخر، وانخفاضه من حين إلى آخر شكّل اضطرابا في المعاملات بين الناس، وهو ما وضّحه العربي المشرفي"...**إنّ جلَّ خصومات هذا الوقت دائرة بين أهلها في شأن السكة، فإن الناس يتعاملون بالأجل ويشهدون على غرمائهم عددا من**

المثاقيل، ثم لا يحلُّ أجل تلك السلعة، أو لا يقضى الدّين إلّا وقد زاد صرف الرّيال والبساسيط..."[44] ، يخبرنا العربي المشرفي أنّه في حالة وقوع هذا الأمر، فإنّه على القاضي أن لا يحكم على المغروم بأداء ما عليه من الدين وفق صيغة العقد كما غرض صاحب الدين، وانّما يكون القضاء بما هو معمول به لاشتراك دلالة اللفظ على المثقال، زيادة على هذا استدل العربي المشرفي نصوصا فقهية تتعلّقُ بالبيوع، منها أنه إذا تعدّدت السكك في البلد فعلى البائع أن يقبض ما جاء به المشتري[45].

بخصوص القضية الثالثة والأخيرة فإنّها تتعلق بذيوع **الأتاي في المغرب**، أين كان للفقهاء رأي حوله والعربي المشرفي من ضمنهم، وبالرغم من أنّه للعربي المشرفي مؤلف في الأتاي، إلّا أنّنا لم نقف عليه ولكنّنا اعتمدنا على الدراسة القيمة التي تناولت موضوع ذيوع الأتاي في المغرب من زاوية أنثروبو- تاريخية أعّدها كل من الدكتورين عبد الأحد السبتي و عبد الرحمان الخصاصي وهذا لنقف على رأي المشرفي.

لقد رأى الفقهاء والعربي المشرفي من بينهم في بادئ أمرهم حُرمة هذا الشراب، ففي هذا الصدد نجد أبيات شعرية له جاء فيها:

إنّ الأتاي لشهوةٌ مضر مضرّةً تفضي لجلب الهمِّ والخسرانِ

وتؤول لارتكاب ديْنٍ فادح ولمحقِ مالٍ مع فساد عنوانِ

تعمي مكان المرء تفقر بيته والفقر منه تكونُ الأحزانُ

تبًّا لكلِّ تاجر أتى بها وأتى لمسلم شهوة الشيطانِ[46]

لكنّ العربي المشرفي عدل عن موقفه فيما بعد كغيره من فقهاء المغرب ونجده يساير الواقع لذا نجده يقول"...**فهذا الشراب جرى به العمل اليوم في عُرفِ القوم حتّى صار يقدّمُ للضيف، وربما إن قُدِّمَ له طعام بدونه يعتقد أنّه أُستهزئ به، ولو قام الإنسان بواجب الضيافة، وأطعم جلسائه بكلِّ لون من ألوان الطعام أنواع الحلاوة ولم يأتهم بشراب التاي لقالوا قصّر في حقّنا...فسبحان الله من يقول للشيء كن فيكون ويخلق ما لا تعلمون**..."[47].

الخاتمة

من خلال ما تم استعراضه حول شخصية العربي المشرفي وبعض النماذج من مؤلفاته يمكننا أن نستخلص ما يلي:

- أهمية الهجرة في تمتين العلاقات وخلق التواصل بين الجزائر والمغرب، ولعل اهمّ العلاقات بين البلدين هي العلاقات الثقافية حيث تبرز لنا الاجازات بين العلماء وتبادل المؤلفات والمناظرات، بالإضافة إلى الدراسة والتدريس في القرويين حقيقة هذا التواصل.

- المكانة العلمية والاجتماعية للعربي المشرفي الذي جمع بين الشرف الديني والشرف الطيني، وتقرّبه من سلطة المخزن المغربي، كلّها عوامل ساعدته على نيل حظوة في البلاط العلوي ومعرفة شؤون المخزن.

- الازدواجية في مؤلفات العربي المشرفي بين الاطلاع والثقافة التاريخية، وبين التأريخ للدولة والسلطان.

- موسوعية العربي المشرفي ساعدته على التأليف في مختلف الجوانب وعلى هذا الأساس شملت مؤلفاته جوانب سياسية وثقافية واجتماعية وأخرى دينية.

- القيمة المصدرية لمؤلفات العربي المشرفي جعلت منها مادة تاريخية هامة جلبت اهتمام الباحثين لتحقيق تراثه المخطوط أو الاعتماد على ما حقق منها في مختلف الدراسات المتعلقة بمغرب القرن 19م.

الهوامش:

[1] في هذا المقام نشيد باهتمامات الباحثين الجزائريين والمغاربة من خلال ابراز العلاقات الجزائرية- المغربية على جميع مستوياتها وفي حقب زمنية مختلف، ولقد توجت هذه الاهتمامات بالتأليف الذي تكفلت المندوبية السامية لقدماء المقومين وأعضاء جيش التحرير تحت عنوان **الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية- الجزائرية ج1، ج2، ط1، 2017.**

[2] Jean-Jaques Rager : **Les Musulmans Algérienne en France et dans Les pays islamique**, Alger, 1950, p, 31.'publication de la faculté des lettres d

[3] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 428

[4] إدريس بوهليلة: **الجزائريون في تطوان خلال القرن 13ه/19م " مساهمة في التاريخ الاجتماعي المغربي"** ط1، منشورات الشباك، تطوان المغرب، 2012، ص 30.

[5] Jean-Jaques Rager : **Op,cit** ,p 33.

[6] للاطلاع أكثر حول الأسرة المشرفية أنظر:

- فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي(925-1246ه/1519-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013-2014، ص- ص 262- 283.

- بلبروات بن عتو: **إسهام العائلة المشرفية في الكتابة التاريخية**، مجلة عصور الجديدة، العدد الثالث والرابع، جامعة وهران 2012، ص- ص 158- 173.

- فارس كعوان: **هجرة الأسرة المشرفية إلى المغرب الأقصى في عهد الإحتلال الفرنسي**، مقال ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، قسنطينة، 2010، ص- ص 216- 234.

[7] عبد الحق شرف: **العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي (ت 1895) حياته و آثاره**، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2006- 2007، ص 57.

[8] فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي(925-1246ه/1519-1830م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران الجزائر،2013-2014، ص 278.

[9] عبد المنعم القاسمي: **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار الخليل القاسمي بوسعادة، الجزائر 2005، ص 299.

[10] العبّاس بن ابراهيم السملالي: **الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهّاب منصور، ج9، ط2، المطبعة الملكية الرباط المغرب، 1993، ص 27.

[11] **نفسه** ص 27.

[12] للإطلاع على مؤلّفات العربي المشرفي انظر:

- أبو القاسم سعد الله: **مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر**، مجلة الثقافة عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، وزارة الثقافة 1983، ص ص 88-96.

- تقي الدين بوكعبر: **جوانب من التراث العلمي المخطوط لأسرة المشارف بمعسكر**، مجلة متون العلوم الاجتماعية، العدد الثالث جامعة سعيدة 2016، ص- ص229-231.

[13] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص 113.

[14] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 403.

[15] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص 87.

[16] العربي المشرفي: **الآيات والحوادث**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 3013، ص 13.

[17] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص 119.

[18] أبو القاسم سعد الله: **مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر**، مجلة الثقافة، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، وزارة الثقافة 1983، ص 95.

[19] العربي المشرفي: **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين**، تحقيق الحسن الفرقان، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب، 2003-2004 ص214.

[20] العربي المشرفي: **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين المصدر السابق**، ص- ص 24، 27، 29.

[21] محمد الأمين بزاز: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، د.ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب، 1992، ص- ص 188-189.

[22] العربي المشرفي: **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، المصدر السابق**، ص 223.

[23] العربي المشرفي: **الآيات والحوادث**، المصدر السابق، ص 5.

[24] **نفسه** ص 6.

[25] **نفسه** ص 7- 8.

[26] **نفسه** ص 9- 10.

[27] **نفسه** ص 13.

[28] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص 119.

[29] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، **المرجع السابق**، ص 446.

[30] العبّاس بن إبراهيم السملالي: **المصدر السابق**، ص 27.

[31] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص- ص 131-132.

[32] **نفسه** ص 132.

[33] **نفسه** ص- ص 153- 154.

[34] محمد سعيد حنيشي وعبد العالي المدبر: **فهارس الخزانة الحسنية**، ج1، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، دت، ص 189.

[35] حول حياته أكثر أنظر:

- عبد القادر بن عبد السلام بن سودة: **اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، تحقيق محمد حجي، ج2، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1997 ص 260.

[36] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص 144.

[37] العربي المشرفي: **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن أكنسوس**، تحقيق عبد الحق شرف، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010، 2011ص- ص 313، 317، 321.

[38] **نفسه** ص 306.

[39] عبد الحق شرف: **المرجع السابق**، ص- ص 134- 136.

[40] عبد الوهاب بن منصور: **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب 1985، ص 5.

[41] محمد المنوني: **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 327.

[42] عبد الحق شرف: **موقف العربي المشرفي من الحماية القنصلية من خلال رسالته" الرسالة في أهل البصبور الحثالة "**، المجلة الخلدونية، العدد الخامس، جامعة تيارت، 2011، ص 322.

[43] عمر آفا: **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر"البنيات والتحوُّلات" 1830-1912**، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب 2006 ص- ص 220-222-225.

[44] عمر بن حمدادو: **المعاملات التجارية بالمغرب الأقصى من خلال مخطوط "رواج السكة بالزيادة "لأبي حامد المشرفي**، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، العدد السابع، جامعة وهران، 2017، ص 223.

[45] **نفسه** ص- ص 223- 224.

[46] عبد الأحد السبتي وعبد الرحمان لخصاصي: **من الشاي إلى الأتاي "العادة والتاريخ"**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 1999، ص 95.

[47] **نفسه** ص 101.